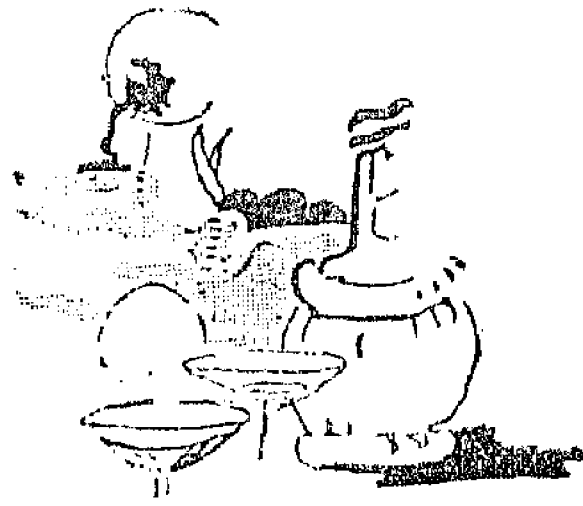




وہرت بضعة أيام ونحن في حيرة لا ندري
كيف رضيت أن تتنازل عن قنيصتها بمثل
هذه البساطة حتى كان ذات يوم ، وضح
لنا الأمر ، وعلمنا أنها لم تترك زوجها
الماتر الا بعد أن حصلت على « الزوج
الحادی عشر » ..

الزوجة الحادی عشر

شاطيء البحر . . في صيف العام الماضي . . .

على أبصرت « ابتسام » ، ولا شك أن الاسم قد وقع
لدى القارىء موقعاً حسناً . . وأنه يتوقع بعد ذلك أن
أصف له هيفاء من فائنات الصيف . . بما يوه من قطعتين ،
برز منها الصدر ، والتف الخصر ، واستقام الساقان .

لا ياسيدى . . آسف كثيراً ، وما ذنبى وهى ليست
كذلك ، ولا ربع ذلك .

أقول إنى رأيتها على الشاطيء . . لا تنهذى ، ولا تمايل
بل تسير كالهجين . . تدفع بجسدها الضخم المترهل إلى الأمام
وإلى الخلف وتذب بقدميها على الأرض دباباً وقد أمسكت
حقيبتها بيدها . . حقيبة جلدية من الحقائق التى يحمل الطلبة
فيها كتبهم ولكنها ضخمة بحيث تتسع لما تحمله من البضائع .
البضائع ؟ .

أجل . . الحلقان والأساور والروائح والخواتم التى
تبيعها ببضعة قروش لأصحاب السكائن ، فتكتسب منها
رزقها .

لا ترع ياسيدى القارىء . . فلقد روعت من قبلك . .
عندما سمعت اسمها ثم رأيتها . . بشكلها ومشيتها وحقيبتها .

رأيتها سمراء صفراء كالحة باهتة (واخشيته من أن
تقرأ القصة) مجمدة الوجه ، واسعة الفم ، مخيفة النظرات ،
ذات صوت عال مخشوشن ، ولهجة أميرة غير مستجدية .
دخلت علينا الكابينة ذات مرة . . أو قل هجمت ،
ورأيت الأهل يعاملونها برفق ورقة وأدب وابتاعوا منها
أشياء لم يكونوا قط في حاجة إليها . . فلما انصرفت سألتهم
لم اشترؤا منها ما اشترؤوا ولم عاملوها بمثل ما عاملوها به . .
فأجابوا أنهم يخشونها لأنها طويلة اللسان ، وأنها لا تتورع
عن شتيمة من يرفض الشراء منها فإن بها لوثة ! ومن ذلك
اليوم وأنا أخافها وأخشى الاقتراب منها ، وتحدثوا عنها
فقالوا إنها امرأة ذات ماض عجيب ، فقد تزوجت ما يقرب
من العشرين رجلا كان منهم قبطان سفينة وكابتن انجليزى
سافرت معه إلى انجلترا ! !

وزارتنا المرأة مرة ثانية . . أو أغارت علينا . .
وانسجمت معنا بعض الشيء ، فجلست تقص علينا طرفاً من
مغامراتها وزيجاتها . . ثم أنبأتنا في النهاية أنها مخطوبة .
وكتمت الضحك في صدرى خشية أن ينالنى منها شر
ولم أشك في أنها مجنونة وأن كل ما تصفه لا يعدو حديث
خرافة . . حتى سمعت بعد ذلك طرفاً من تاريخها . .

من صاحب لا أرتاب في صدقه ، فلم أشك بعد ذلك في أن
المرأة لم تكن كاذبة في شيء مما قصته .

كنت أجلس وصاحبي في أصيل يوم من أيام
الصيف أمام حوض السباحة بنادي هليوبوليس ، ولست
أدرى كيف ساقنا الحديث إلى ذكر صاحب لنا فأخذنا
نتندر بفرط هدوئه وبأنه ليس هناك ما يمكن أن يستشير
أو يحرك ساكنه .

وصاحبنا هذا يدعى « أحمد أفندي » . . وهو رجل
في منتصف العمر . . مقبول الشكل ، ممتلئ الجسم ، أصلع
الرأس ، ولست أظن هناك فائدة في كل ما ذكرت من
الأوصاف فهي لا يمكن أن تكون مميزة لشخص بذاته
وتكاد تنطبق على نصف سكان مصر وكل موظفي الدواوين .
أما الشيء الذي قد يمكن أن يكون من مميزاته فهو ذلك
الهدوء والسكون والطيبة والقناعة .

ورأيت صاحبي قد ضحك فجأة فسألته عما يضحكه فأجاب
بأنه قد تذكر واقعة عجيبة وقعت لصاحبنا منذ عشرات
السنين . . واقعة لو لم يشاهد وقوعها بعيني رأسه ، ولو لم يطلع
على حوادثها من أولها إلى آخرها . . لقال عنها فرية
وأكذوبة .

وبداً صاحبى يقص على الواقعة . . قال :

— كنا نعمل معاً فى مكتب البريد العام ، وكنا نجلس متجاورين كل خلف نافذته التى يستعرض من خلالها مختلف الوجوه التى تفد علينا طيلة اليوم ، وفى ذات صباح لحث من نافذتى عادة مقبلة . . عادة فى جسدها الممتلئ وصدرها البارز إغراء ، وفى تقاطيع وجهها وسواد عينيها سحر وفتنة ، وتطاوالت بصرى كما تطاول غيرى من الموظفين الذين لمحوها من خلال نوافذهم وكأننا لم نبصر من قبل امرأة جميلة . . إلا واحداً لم يحرك ساكناً ولم يكلف نفسه حتى مشقة رفع بصره ، وكان هو « أحمد افندى » . ووقفت الغادة أمام « أحمد افندى » تحييه بابتسامة تذيب الحديد !! ونظر هو إليها ببروده وجموده وسألها عما تطلب .

ولاتسل عن الحسد الذى أحسنا به نحو أحمد افندى عندما سمعنا الغادة تسأله برقة هل هو أحمد افندى ، وعندما تبينا أنها تقصده شخصياً ، وأن وقوفها أمامه لم يكن وليد صدقة . . .

وطال الحديث بينها وبينه . حديث ناعم رقيق . تتخلله البسمات والضحكات ، وأخيراً انصرفت مودعة ، وأقبلت على صاحبنا أسأله من تكون الفاتنة وما قصتها ، فتبين لى

أنها التقت بأبيه في بلدته وتوثقت بينهما عرى الصداقة وأنه
أنبأها أن ابنه يعمل في البريد وأعطاهما عنوانه فلم تسكده
تصل إلى القاهرة حتى أتت لزيارته .

وأقول لك الحق أننى رأيت الفتاة « لقطه »
و (استخسرتها فيه) ، ولكن ماذا كنت أستطيع أن
أفعل مادام « يعطى الخلق لى بلا ودان » وياليتها بلاأذن
فقط . . بل بزوجة ، وثلاثة أولاد ، وهو فوق ذلك زوج
مخلص وفى .

ومرت الأيام ، وهى تتردد عليه من يوم لآخر . .
لاتكاد تحل بالمكتب حتى يتضوع عبيرها فى أنوفنا . .
وترن ضحكاتها فى آذاننا ، وتسرى منها رائحة طيبة تملؤنا
طرباً وحبوراً ، وأخذت معاملة أحمد افندى لها تتطور
مع الأيام . . فتبدل جموده رقة ، وخشونته ليناً ، وذهب
عنه ذلك البرود والركود . . فهش وبش ، وتلطف
وتظرف ، وأخذ إقباله عليها يزيد المرة بعد المرة . . بل
لقد خيّل إلى أن الرجل بدأ يتعلق بها فينتظر مجيئها فى كل
يوم بشوق ولهفة .

أقول إن هذا هو ماخيّل إلى . . حتى حدث ذات
يوم حادث ملأنى دهشة . . حادث حاولت أن أجده
تفسيراً وتعليلاً ولكن عبثاً .

كنا بجالسين فى المكتب ذات مرة وقد انهمكنا فى العمل
وجلس بجوارى أحمد افندى يبادلى من آن لآخر كلمة
أو سؤالاً ، وقد بدا فى أتم هدوئه ورزاقته وعقله ، وقوراً
حكيماً . . لا يتوقع منه المرء مزلاً ولا مجوناً ، ولا عبثاً ،
ولا مزاحاً .

ترى ماذا تقول فى هذا الوقور الحكيم . . عندما تراه
قد هبط فجأة عن كرسيه فاختنى أسفله وقبع فيه كهر يموء
أو طفل يحبو ؟

هل جن ؟ ! أو يأتى الجنون هكذا فجأة دون مقدمات
أو مبررات ؟

لقد نظر إلى الرجل من أسفل المقعد وقد بدا على
وجهه ذعر شديد وسمعته يهمس :

— قل لها إننى غير موجود .

أقول لمن ؟ . ماذا أصاب المسكين وماذا دهاه ؟

لقد أصابتنى دهشة شديدة جعلتنى فى حالة عجز عن
التفكير . . فقد حدث ما حدث فى مثل لمح البصر . .
ولم أكد أرفع عيني عن الرجل القابع عند قدمي ، حتى
أبصرت الحساء تقف أمامي فى النافذة تمنحنى ابتسامة من
ابتساماتها العذبة وتسالنى فى صوت رقيق :

— أحمد افندى موجود ؟

فأجبتها بسرعة دون تفكير :

— لا يافندم . . غير موجود ؟

وحيتني بابتسامة أخرى وأعطتني ظهرها وانصرفت .

ونظرت إلى الرجل المنكمش أسفل المقعد فوجدته ينظر

إلىّ ويهز رأسه متسائلاً ، فأجبتنه :

— لقد انصرفت .

وتنفس أحمد الصعداء وخرج من مكانه وانطرح على

كرسيه وقد تصبب العرق من جبينه وحاولت أن أستوضحه

الأمير وأعرف منه سر ذلك الجزع والفرع من رؤية

الحسناء وسبب تهربه منها كأنه مجرم تطارده الشرطة ،

ولكنه تذرع بالصمت وطلب إلىّ أن أنبئها في كل مرة

تحضر للسؤال عنه بأنه غير موجود .

ومرت الأيام والغادة لا تنقطع عن المجيء إلى المكتب

والسؤال عنه ، ولا يكاد يحس هو طرقات أقدامها حتى يبدو

عليه كأنما سمع إنذاراً بالخطر فيهبط إلى مخبئه في لمح البصر

حتى إعلان الأمان فيظهر على وجه الأرض ، واستمر الحال

على هذا المنوال حتى وقفت الغادة أمامي ذات يوم تسألني

عنه كالمعتاد . . فأجبتها بنفس الجواب الذي عودتها عليه

« غير موجود » ، ولسكنها في هذه المرة لم تجب بابتسامتها



المعهودة ، ولم تنصرف ، بل هزت رأسها ببطء وقلبت
شفيتها بازدياد وقالت في صوت هادئ :

— أنا أعلم إنه موجود . . قل له لافائدة من التهرب ،
سأعثر عليه إن عاجلاً أو آجلاً .

— هرب ؟ ولم يهرب ؟ وماذا تريد مني ؟

— ماذا أريد منه ؟ . . إني زوجته !

إن إجابة المرأة كانت آخر ما كنت أنتظر ، ونظرت
إليها مشدوهاً وقلت في ذهول :

— زوجته . . أنت ؟ . . ولكنه متزوج وله ثلاثة
أولاد . . .

ونظرت إلى المرأة نظرتها إلى إبله ، وهزت كتفها
باستخفاف ، ثم أخرجت من حقيبتها ورقة لوحت لى بها
وقالت : هذه ورقة الزواج وعندى ورقة أخرى تنازل
لى فيها عن أطيانه . . أرجوك قل له لافائدة . . قل له يكف
عن « الزواجان » ويظهر بالتى هى أحسن ، وإلا . . .

ودون أن تنتظر منى رداً أولتنى ظهرها وانصرفت .
وخرج أحمد افندى من مخبئه كأنه فأر غريق وسأله :
— أتزوجتها حقيقة ؟

وهز رأسه بالإيجاب .

— وكتبت لها الأتيان ؟

وهز رأسه بالإيجاب أيضاً .

أنبأني باختصار أنه ذهب إليها في « العوامة » ذات ليلة
وأنها أسكرته وعقدت زواجهما واستسكتبته تنازلاً عن كل
ما يملك . . .

وتمسكني العطف عليه والثناء له . . فلقد كانت ورطته
ليست مما يسهل الخروج منها ، وخاصة أن المرأة ليست ليثة
العريكة ، فقد علم أنها تزوجت من قبل تسع مرات ، وكان
من أزواجها قبطان سفينة وكابتن انجليزى .
وهنا صحت :

— قبطان سفينة وكابتن انجليزى ؟ ما اسمها ؟

— ابتسام ؟

— ابتسام ؟ لا يمكن . . إنها تكون حقاً قد تزوجت
هؤلاء ولسكنها قطعاً لم تكن حسناء ولا غادة ولا شيئاً من
هذا الذى تقوله .

— هل تعرفها ؟

— رأيته في الصيف الماضى شوهاه شنعاء . ليست بها
مسحة من ذلك الجمال الذى تتحدث عنه ، ولكن أتمم
حديثك . . فلا شك أن الزمن والأزواج العشرة قد فعلوا
بها ما فعلوا .

وأخذ صاحبي يثم حديثه قال :

— قلت لك أنى أحسست نحو صاحبي بعطف شديد
وأخذت أفكر وإياه فى الوسيلة التى نستطيع بها أن ننقذه
من ورطته ، وتطوعت أنا لمساومة المرأة للتنازل عن
حقوقها .

وفى اليوم التالى حضرت كعادتها ولم يهبط أحمد افندى
بل جلس ليواجهها ، وسألها عما تريد ثمناً للطلاق وللورقة
التى معها فأنبأتنى بإصرار أنها لا تريد الطلاق .

ولم تجد مع المرأة طرق اللين والسياسة ، فقد كان أحمد
افندى فى نظرها «لقطة» ثمينة ، وأخيراً نفذ صبرى فصحت
بها أن تذهب إلى حيث ألفت .

ورمقتنى بنظرة طويلة ملؤها التهديد والسخرية ، ثم هزت
رأسها ببطء وانصرفت .

وظللت أرقب المرأة وهى تسير إلى الخارج وأنا موجس
من نظرتها خيفة . ولم تمض لحظة حتى أبصرتها تتجه يمنة ثم
ترتقى السلم صاعدة إلى مكتب المدير .

وأحسست بقلبي يهبط بين جوانحي . . فقد كنا لانخشى
أحدآ فى ذلك الوقت كما نخشى المدير . إذ كان رجلاً جاداً ،
قاسياً ، وكرهت أن يكون هو أول من يعرف بالفضيحة

ولم أشك في أنه سيتخذ مع أحمد افندى إجراء حاسماً رادعاً .
ولم تمض لحظة حتى أقبل حاجبه يطلب أحمد افندى
فصعد معه ، أصفر الوجه ، مرتعد الأوصال ، وبعد هنيهة أقبل
مرة أخرى يطلبني .. ودخلت لمقابلة المدير وعلمت منه أن
أحمد افندى أنكر كل علاقة له بالمرأة ، وسألني عما أعرفه ،
ولم أستحسن . أنا فكرة الإنكار فرويت له الحقيقة ،
وقلت له إنها زلة شباب وإننا نأمل أن يتصرف في المسألة
بعطفه الأبوى .

وانصرفنا من أمام المدير تاركين المرأة عنده ، وقد
ملأنا الخوف والقلق .

وفي اليوم التالي حضرت المرأة ، وأقبلت علينا كأنها
غمة أو سحابة ، ووقفت أمامنا برهة تحديق فينا بنظراتها ثم
حدثت المعجزة .

لقد مدت يدها إلى أحمد افندى بالورقة التي تنازل لها
فيها عن أملاكه ، وطلبت منه الطلاق .. بلا قيد ولا شرط .
لم تصدق أعيننا بادئ الأمر ، وظننا المرأة تمزح ،
ولكنها كانت جادة في قولها .

آية معجزة تلك التي استطاع المدير صنعها .. كيف

استطاع أن يؤثر عليها . . بالضرب . . بالتهديد . . باللين . .
بالسياسة . . من يدري ؟ !

ومرت بضعة أيام ونحن في حيرة لا ندري كيف رضيت
أن تتنازل عن قنيصتها أحمد افندى بمثل هذه البساطة ، حتى
كان ذات يوم ، وضح لنا الأمر ، وعلينا ببساطة أنها
لم تترك زوجها العاشر أحمد افندى إلا بعد أن حصلت على
« الزوج الحادى عشر » . أتدري من كان ؟ ! . . لقد كان
المدير نفسه بجده وقسوته وصرامته .

كيف أوقعته ؟

كيف حدث ما حدث ؟ ؟

الله وحده أعلم !

